مكتب راعويّة المرأة
الدائرة البطريركيّة المارونيّة

وثيقة عملٍ حول الهويّة الكنسيّة والثّقافيّة
الفضائل المارونيّة: مسيرةٌ نحو القداسة

مكتب راعويّة المرأة
في الدائرة البطريركيّة المارونيّة - بكركي

٢٣ أيار ٢٠٢٦

وثيقة عملٍ حول الهويّة
الكنسيّة والثّقافيّة

الفضائل المارونيّة:
مسيرةٌ نحو القداسة

مكتب راعويّة المرأة
في الدائرة البطريركيّة المارونيّة - بكركي

٢٣ أيّار ٢٠٢٦

١. المقدّمة

تتولّى راعويّة المرأة، أمانةً للفقرة ٧٢ من الوثيقة التّأسيسيّة للمسار السّينودسيّ الحاليّ "دعوة ورسالة المرأة في تدبير ا . وحياة الكنيسة والمجتمع" (٢٠٢٣)، مسؤوليّة الحفاظ على الهويّة المارونيّة وتعزيزها ونقلها عبر الأجيال والسّياقات المختلفة. فهذه الفقرة تبرز، بصورة خاصّة، دور المرأة كعنصر أساسيّ في صون التّراث الثّقافيّ والرّوحيّ والكنسيّ للكنيسة المارونيّة، وفي ضمان نقله داخل العائلات والجماعات والمجتمعات. من هنا تأتي هذه الوثيقة كاستجابة مباشرة لهذه الرّسالة الموكولة إليها. إنّها ليست مجرّد بحث نظريّ، بل هي تعبيرٌ عن دعوة الالتزام بحمل الأمانة: هي نتاج جهد فكريّ وعمليّ يمكن من خلاله تبنّي هذه المسؤوليّة بوعيٍ تامّ، وتجسيدها في واقع الحياة الملموس.

يندرج هذا العمل ضمن سياقٍ أوسع من المسارات الكنسيّة والسّينودسيّة، يشمل المجمع البطريركيّ الماروني (٢٠٠٣–٢٠٠٦)، والمسار السّينودسيّ الكنسيّ حول المرأة، والسّينودس العام الأخير حول السينودسيّة. وهو يتبنّى عن قصدٍ روح السّينودسيّة ويعكسها، باعتبارها مسيرة سيرٍ معًا تقوم على الإصغاء، والتّمييز، والمشاركة، والمسؤوليّة المشتركة. ومن هذا المنطلق، لا تفهم هذه الوثيقة كنصٍّ مغلق، بل كمساهمة مفتوحة وديناميّة في مسيرة كنسيّة مستمرّة.

كونها صيغت كعمل تأمّل والتزام، تقترح هذه الوثيقة مسارًا يتجلّى عبر مستويات متعدّدة من الحياة الكنسيّة: الفرد، والعائلة، والرّعيّة، والأبرشيّة، والمستوى المؤسّساتيّ. وهي لا تهدف فقط إلى توصيف الهويّة المارونيّة، بل أيضًا إلى مرافقة مسار إعادة التّبنّي الواعي لها، تشجيعًا لالتزام واعٍ ومُعاش بهذه الهويّة في تفاصيل الحياة اليوميّة. وفي الوقت عينه، تدعو القارئ بشكلٍ صريح إلى الدّخول في هذا المسار، وإلى التّساؤل والتّأمّل والمساهمة بخبراته الشخصيّة والجماعيّة بما يغني هذه الهويّة ويجدّدها.

يرتكز المضمون المطروح في هذه الوثيقة على ثلاثة مكوّنات أساسيّة مستقاة من أعمال المجمع البطريركيّ الماروني (٢٠٠٣–٢٠٠٦)، تعبّر مجتمعةً عن الأبعاد الكنسيّة والرّوحيّة والثّقافيّة للهويّة المارونيّة: ألّا وهي الفضائل الرّهبانيّة (الفقر والطّاعة والعفّة)، والتّقشّف والتّعلّق بالأرض. لا يتمّ تناول هذه المكوّنات كمفاهيم مجرّدة، بل كحقائق حيّة تتطلّب فهمًا متجدّدًا وتجسيدًا عمليًّا في السّياقات المعاصرة. ومن المهمّ الإشارة إلى أنّ هذه المكوّنات لا تستنفد غنى الهويّة المارونيّة. هناك أبعادًا جوهريّة أخرى، كاللّغة السّريانيّة واللّيتورجيا، تبقى هي أيضًا عناصر مكوّنة بالقدر عينه، وتستدعي تأمّلًا خاصًّا في أعمال مكمّلة.

هـذه الوثيقـة هـي ثمـرة مسـارٍ متواصـل مـن البحـث والتّمييـز، تسـتند إلـى دراسـةٍ اعتمـدت منهجيّـة مزدوجـة (كمّيّـة ونوعيّـة) حـول الفضائـل الرّهبانيّـة، وإلـى أبحـاثٍ نوعيّـة أجريـت مـع شـرائح متنوّعـة داخـل الجماعـة المارونيّـة، شـملت الشّـباب، والنّسـاء، والكهنـة، والمكرّسـين والمكرّسـات، والأزواج، والأكاديميّين، مـع الحـرص علـى التّنـوّع داخـل كلّ فئـة، إضافـة إلـى استشـارات مـع خبـراء، ومراجعـة للنّصـوص الكنسـيّة الأساسـيّة، ولا سـيّما نـصّ المجمـع البطريركـيّ المارونـيّ (٢٠٠٣–٢٠٠٦). ومـع أنّ هـذه الدّراسـات أفضـت إلـى بعـض الـرّؤى العمليّـة، فـإنّ الوثيقـة لا تقـدّم نفسـها كدليـل توجيهـيّ إلزامـيّ، بـل تعتمـد مقاربـة تأمّليّـة تفتـح مجـالًا للفهـم والتّمييـز والتّبنّـي، وتدعـو القـارئ(ة) إلـى الانخـراط الفعّـال فـي مضمونهـا عبـر الإسـهام بالتّفكيـر والتّأمّـل فـي كلّ مرحلـة.

يركّـز كلّ قسـم مـن الوثيقـة علـى أحـد هـذه المكوّنـات وفـق بنيـة واضحـة: يبـدأ بتعريـف مسـتمدّ مـن المجمـع البطريركـيّ المارونـيّ (٢٠٠٣–٢٠٠٦)، ثـمّ يعـرض أبـرز النّتائـج المسـتخلصة مـن الأبحـاث بمـا يعكـس كيفيّـة إدراك المشـاركين لـكلّ مكـوّن وفهمـه لـه وعيشـه فـي خبرتهـم اليوميّـة، لينتقـل بعـد ذلـك إلـى اقتـراح سـبلٍ لتفعيلـه فـي السّـياق المعاصـر مـن خـلال التّوصيـات والمقترحـات الّتـي قدّمهـا المشـاركون لعيـش هـذه المكوّنـات اليـوم. أخيـرًا، يختتـم كلّ قسـم بإشـارة روحيّـة مسـتوحاة مـن أحـد القدّيسـين الموارنـة. خـلال كلّ هـذه الأقسـام، ليـس القـارئ مدعـوًّا فقـط إلـى تلقّـي المحتـوى، بـل أيضًـا إلـى التّفاعـل معـه عبـر التّأمّـل والتّسـاؤل والمسـاهمة برؤيتـه الشّـخصيّة. وبهـذه الطّريقـة، تسـعى الوثيقـة إلـى الرّبـط بيـن التّأمّـل والخبـرة المعاشـة، وبيـن الفهـم والممارسـات العمليّـة.

II. فضيلة الفقر الرّهبانيّة

١. التّعريف

الفقر هو موقف داخليّ متحرّر إزاء الخيرات المادّيّة، حيث يختار المرء ألّا يكون مملوكًا ممّا يملك. فهو ليس حرمانًا لذاته، بل بساطةٌ واعيةٌ متجذّرةٌ في الثّقة بالله.

وإذ كان الفقر يفهم تقليديًّا على أنّه عوز مادّيّ، فقد أعيد تفسيره في السّياق الاجتماعيّ المعاصر بوصفه استهلاكًا مسؤولًا، وحرّيّةً روحيّة، ومشاركة سخيّة. إنّه يقتضي التّجرّد عن الرّغبة في الأمور غير الجوهريّة، وذلك في سبيل إعادة توجيه الرّوح نحو الخالق ونحو الآخرين.

٢. النّتائج

يفهم الفقر بالدّرجة الأولى على أنّه تحرّرٌ داخليٌّ وعدم تعلّق، لا كعوزٍ مادّيّ أو حرمان. وقد برز تمييزٌ أساسيّ بين "الحاجة" و"الطّمع". فقد شدّد المشاركون على القناعة والاكتفاء باعتبارهما نقيضين للاستهلاك المفرط. فالفقر هو خيار مقصود للاكتفاء بالضّروريّ، حتّى عندما يكون الإنسان قادرًا على امتلاك المزيد.

٣. اقتراحات عمليّة

على المستوى الشّخصيّ

- عش البساطة والسّخاء كحركة واحدة: ضع حدودًا واعية لاستهلاكك المادّيّ واستهلاكك للاهتمام، ودبّر شؤونك الماليّة بوعيٍ، وأعد توجيه الفائض (من وقت، واهتمام، وموارد) نحو الله والآخرين؛ فهذا ما يعبّر عن حرّيّتك من أن تكون مملوكًا ممّا تملك.
- نمّ الحرّيّة الدّاخليّة من التّبعيّة: ابتعد بانتظام عن وسائل الرّاحة، والعادات، ومصادر التّقدير الخارجيّ، لكي تتحقّق من كفايتك الذّاتيّة ومن ثقتك بالله، لا بالمقتنيات أو بنيل الاعتراف من الآخرين.
- عش الفقر كعطشٍ إلى الرّبّ، وليس كعوزٍ مادّيّ: نمِّ في ذاتك قلبًا يبتغي المزيد من المسيح، لا المزيد من العالم.

على مستوى العائلة

- كوّن ثقافةً من البساطة المشتركة: علّم أصول التّدبير الماليّ والسّخاء، وقاوم عقليّة الاستحقاق والحاجات المبنيّة على المقارنة بالآخرين. قدّم العلاقات الإنسانيّة على الرّفاهيّة المادّيّة، واتّخذ قرارات جماعيّة تهدف إلى تبسيط الحياة وكشف مكامن التّعلّقات الممكنة (على سبيل المثال: المشاركة، والاحتفالات الأكثر بساطة).

- مـارس التّجـرّد فـي العلاقـات: عامـل الأولاد كأشـخاصٍ مؤتمنيـن لديـك لا كامتـدادٍ لذاتـك أو ملكيّـة خاصّـة، وقيّـم العـادات والتّقاليـد للإبقـاء فقـط علـى مـا يخـدم الشّـركة العائليّـة الحقيقيّـة.

على مستوى الرّعيّة / الأبرشيّة

- اجعـل البنـى منسـجمة مـع الرّسـالة: خفّـف مـن هيمنـة جمـع التّبرّعـات، وتشـارَك المـوارد بشـكلٍ ملمـوس مـع المحتاجيـن. ميّـز بيـن الـرّوح الرّسـوليّ وصـون المؤسّسـات، بسّـط الهيكليّـات، وخصّـص الوقـت والمـال لمـا يخـدم البشـارة بـدلًا مـن الحفـاظ علـى الكيـان الذّاتـيّ فحسـب.
- اعتمـد الشّـفّافيّة والسّـخاء كأسـاس. اضمـن الاسـتخدام الأخلاقـيّ والمسـؤول للمـوارد، وامنـح الأولويّـة للفقـراء فـي السّياسـات المعتمـدة، وابـن ثقافـةً تظهـر فيهـا البسـاطة بوضـوح وعلـى مسـتوى القيـادة.

على المستوى المؤسّساتيّ

- نظّـم العمـل وفـق بسـاطةٍ أخلاقيّـة: اضمـن الاسـتخدام الشّـفّاف للمـوارد، وأعـط الأولويّـة للفقـراء. عـزّز روح السّـخاء وتجنّـب النّزعـة الاسـتهلاكيّة وتراكـم السّـلطة، وذٰلـك مـن خـلال ممارسـة القيـادة كخدمـة.
- أعـد توجيـه المؤسّسـات نحـو الشّـهادة المتجسّـدة: فالكنيسـة ليسـت ناديًـا اجتماعيًّـا، بـل جسـدًا موحّـدًا فـي اللّيتورجيـا واللّاهـوت. قِـس صحّـة المؤسّسـة بمـدى انسـجامها مـع المبـادئ الإيمانيّـة، وليـس بالمؤشّـرات الخارجيّـة للنّجـاح.

ماذا تضيف أو تعدّل انطلاقًا من خبرتك الشّخصيّة؟

٤. أسئلةٌ وتمارين

على المستوى الشّخصيّ

- ما الّذي أستهلكه (ماديًّا ورقميًّا) وهو لا يخدم ما هو أساسيّ؟
- أين يعكس استخدامي للمال الحرّيّة تجاهه، وأين يكشف عن تعلّقٍ أو انعدام أمان؟
- ما الّذي أخاف أن أخسره، وماذا يكشف ذلك عن تعلّقاتي؟
- هل أعطي فقط من الفائض، أم أنّ عطائي يعكس ثقةً حقيقيّةً وتجرّدًا؟

على مستوى العائلة

- ما الّذي نعتبره في بيتنا "ضروريًّا" بسبب المقارنة مع الآخرين؟
- هل تعزّز عاداتنا في الإنفاق العلاقات، أم تحلّ محلّها؟
- أين نقاوم عيش البساطة معًا، ولماذا؟

على مستوى الرّعيّة / الأبرشيّة

- ما هِيَ الأَنْشِطَةُ أَوِ البُنى المَوْجودَةُ بِغايَةِ الحِفاظِ عَلَيْها بَدَلًا مِنْ خِدْمَةِ الرّسالَةِ؟
- كَيْفَ تُوَزَّعُ المَوارِدُ فِعْلِيًّا، وَمَنِ المُسْتَفيدُ الأَكْبَرُ مِنْها؟
- هَلْ تَعْكِسُ القِيادَةُ الظّاهِرَةُ بَساطَةً حَقيقِيَّةً أَمْ أَشْكالًا خَفِيَّةً مِنَ المُبالَغَةِ؟
- أَيْنَ يُمْكِنُ أَنْ يُساعِدَ الحَذْفُ أَوِ التَّخْفيفُ عَلَى إِظْهارِ ما هُوَ جَوْهَرِيٌّ؟

على المستوى المؤسّساتيّ

- ما هي القرارات الماليّة أو الهيكليّة الّتي يدفعها السّعي إلى النّموّ أكثر منه إلى الرّسالة؟
- أين تعطى الأولويّة للإنتاجيّة على حساب الكرامة الإنسانيّة؟
- كيف تعرّف المؤسّسة عن "النّجاح"، وما الّذي يستبعده هذا التّعريف؟
- ماذا يعني عمليًّا إعطاء الأولويّة للفقراء ضمن البنى الحاليّة؟

٥. الارتباط بقدّيسينا الموارنة

أكثر ما عرفت به القدّيسة رفقا هو أنّها تألّمت حبًّا بالمسيح وتشبّهًا به. لكنّها استطاعت ذلك بسبب فقرها الاستثنائيّ وتجرّدها الكامل عن كلّ شيء، بما فيه الصّحّة الجسديّة الّتي تعتبر الخير الأثمن. لم تكترث رفقا يومًا لخيرات الأرض بل ابتغت الخيور السّماويّة منذ صباها ووجدت في المسيح كنزها الأغلى. فحين قُلِعت عينها وفقدت البصر، وحين عجزت عن الحركة بسبب شللها الكامل نتيجة مرضها المؤلم، لم تتذمّر ولم تطلب الخدمة والانتباه لنفسها، بل تابعت حياتها وخدمتها بفرحٍ وامتنانٍ كبيرين من خلال صلاتها المستمرّة وعمل يديها لئلّا تكون عالةً على أخواتها. بهذا تقدّم لنا رفقا نموذجًا مثاليًّا عن الفقر الإنجيليّ الّذي يجدر بنا أن نأخذ منه العِبَر.

III. فضيلة العفّة الرّهبانيّة

١. التّعريف

العفّة هي تكامل الحياة العاطفيّة والعلائقيّة والجسديّة للإنسان في الحقيقة والمحبّة. وهي تنظّم الطّريقة الّتي ينظر بها الإنسان إلى الآخرين ويتعامل معهم ويحبّهم بها.

إلى جانب الامتناع الجنسيّ، تعبّر العفّة عن نزاهة العلاقة ورؤية الآخر كشخصٍ كاملٍ يستحقّ كرامةً مطلقة. وفي السّياق المعاصر، يعاد فهمها باعتبارها قدرةً على ضبط العواطف وتعزيز تواصلٍ حقيقيّ ومحترم داخل العائلة والمجتمع. فالعفّة تحرّر القلب لكي يحبّ بصدق، بدلًا من أن يتملّك الآخر أو يحاول تشييئه.

٢. النّتائج

تفهم العفّة بمعنًى أوسع من مجرّد الامتناع الجنسيّ. فقد وصفها المشاركون بأنّها نقاوة العلاقة وحرّيّة القلب. ومن المهمّ أنّ المعطيات ميّزت بين العفّة (أي الأمانة ضمن حالة الحياة الّتي يعيشها الإنسان) والبتوليّة. كما برز تشديدٌ واضحٌ على "لاهوت الجسد"، أي النّظر إلى الجسد كهيكلٍ للرّوح القدس.

٣. اقتراحات عمليّة

على المستوى الشّخصيّ

- حقّق الدّمج بين الإدراك والعاطفة والفعل: انتبه لما تستهلكه (خصوصًا عبر الوسائل الرّقميّة)، ونمِّ وعيَك العاطفيّ. اعتمد فتراتٍ من التّوقّف والصّمت ومارس ضبط النّفس لكي تحترم ردود أفعالك كرامة الآخر، بدلًا من أن تكون مجرّد إسقاطاتٍ عليه، أو استباقًا لأفكاره، أو سعيًا لتملّكه.
- حافظ على الحرّيّة في العلاقات: انتبه لأنماط التّعلّق أو الإسقاط، واخلق مساحات مناسبة (بما في ذلك تقليل التّواصل عند الحاجة) لكي تلتقي بالآخر كما هو، لا كامتدادٍ لذاتك.
- افهم العفّة كنقاوة داخليّة أوّلًا لا كمجرّد كبحٍ لرغبة جسديّة. فالعفّة هي القاعدة الأساسيّة لعيش المحبّة الشّاملة، لا تلك الضّيّقة أو الحصريّة.

على مستوى العائلة

- ربّوا على النّزاهة في العلاقات: اجمعوا بين الحوار المنفتح، والتّنشئة الأخلاقيّة، وقدوة الأهل، مع وضع حدودٍ لوسائل الإعلام، واعتماد مبادئ التّواصل المنضبط والسّليم (مثل التّوقّف، وعدم اجترار أخطاء الماضي)، وذلك لصون كرامة كلّ الأفراد.
- علّموا الأولاد أنّ العفّة ليست مجموعة ممنوعات، بل هي حرّيّةٌ داخليّة للانتماء إلى الله وإلى الجميع.

على مستوى الرّعيّة / الأبرشيّة

- عـزّزوا ثقافـة العلاقـات الكريمـة: اعملـوا علـى توفيـر التّنشـئة والمرافقـة وسـبل للشّـفاء، واهتمّـوا بضمـان بيئـات سـليمة، وتنظيـم المسـارات الجماعيّـة عبـر التّواصـل الواضـح، والتّمييـز بيـن الوقائـع والتّفسـيرات، مـع تجنّـب القـرارات المدفوعـة بالانفعـالات العاطفيّـة.
- نشّـئوا الأشـخاص علـى رؤيـة العفّـة كشـموليّة علائقيّـة، لا كأخلاقيّـات جنسـيّة فحسـب، مـع تأميـن المرافقـة للمتزوّجيـن والمكرّسـين علـى حـدٍّ سـواء، ليدركـوا أنّ العفّـة هـي حالـة كيانيّـة وليسـت مجـرّد إتمـامٍ شـخصيّ. ارفضـوا الفصـل الزّائـف بيـن الجسـد والـرّوح؛ فالعفّـة مرتبطـةٌ بالجسـد وليسـت مزدوجـة ومنفصلـة عنـه.

على المستوى المؤسّساتيّ

- كوّنـوا أشـخاصًا لا وظائـف: اعتمـدوا التّنشـئة العاطفيّـة، وإجـراءات حمايـة مـن الاعتـداءات، واسـتخدام مـوارد تسـاعد علـى تجـذّر النّظـرة والعلاقـات فـي الحقيقـة؛ عالجـوا التّشـوّهات الرّقميّـة والثّقافيّـة، وارفضـوا اختـزال الإنسـان بإنتاجـه الاقتصـاديّ.

ماذا تضيف أو تعدّل انطلاقًا من خبرتك الشّخصيّة؟

٤. أسئلةٌ وتمارين

على المستوى الشّخصيّ

- كيف تؤثّر أفكاري وتصوّراتي على الطريقة الّتي أرى بها الآخرين؟
- متى أتفاعل انطلاقًا من انفعال عاطفيّ بدلًا من أن أجيب بوضوح واتّزان؟
- أين أسقط افتراضاتي على الآخرين بدلًا من أن ألتقي بهم كما هم؟
- ما هي العلاقات الّتي تكشف تعلّقًا أو اعتمادًا أو نزعةً إلى التّملّك؟

على مستوى العائلة

- كيف يتمّ التّعبير عن المشاعر وتوجيهها داخل العائلة؟
- هل تحترم أنماط تواصلنا كرامة كلّ شخص؟
- أين نعود إلى نزاعات الماضي بدلًا من معالجة الحاضر؟
- ما الدّور الّذي تلعبه وسائل الإعلام في تشكيل نظرتنا إلى العلاقات وإلى الآخرين؟

على مستوى الرّعيّة / الأبرشيّة

- هل تعكس تفاعلاتنا احترامًا وكرامة، أم توتّراتٍ وافتراضاتٍ خفيّة؟
- كيف تؤثّر الضّغوط العاطفيّة على القرارات؟

- هل تتمّ مرافقة الأشخاص في صعوباتهم، أم تبقى المعاملة شكليّة؟
- أين يخلق التّواصل وضوحًا، وأين يخلق تشويشًا أو ضجيجًا؟

على المستوى المؤسّساتيّ

- هل يعامل الأشخاص كأناس أم كوظائف داخل النّظام؟
- كيف تتمّ حماية الحدود العلائقيّة وتكوينها؟
- ما هي المعايير الثّقافيّة الّتي تشكّل طريقة تفاعل الأشخاص داخل المؤسّسة؟
- كيف تتمّ معالجة التّشوّهات المعاصرة (الرّقميّة والثّقافيّة) بشكلٍ ملموس؟

٥. الارتباط بقدّيسينا الموارنة

تميّز القدّيس نعمة الله الحردينيّ خلال حياته الرّهبانيّة بفضيلة العفّة. ما عاشه هو في زمانه، قد يرى نوعًا من المبالغة قياسًا على مفاهيم زماننا الحاضر. لٰكنّ القدّيس اتّخذ قراره الصّارم بعيش عفّةٍ بطوليّة، بعيدًا من أيّ تجربة أو شيء قد يعوق تكرّسه الكامل لله. إنّ حياته قد أظهرت بالفعل أنّ العفّة ليست مجرّد امتناع جسديّ بل هي تكاملٌ في العلاقة مع الله والقريب، وانفتاحٌ على حبّ الله الشّموليّ. كان يقول لتلاميذه: "العفّة ليست حرمانًا بل هي حرّيّة القلب ليحبّ الله والنّاس بصدق."

IV. فضيلة الطّاعة الرّهبانيّة

١. التّعريف

الطّاعة هي انسجامٌ حرٌّ ومحبٌّ لإرادة الإنسان مع إرادة الله، يعبّر عنه من خلال الإصغاء اليقظ، والحوار، والعمل المسؤول. هي ليست خضوعًا أعمى، بل طريقًا نحو الحرّيّة والحقّ.

بدل أن تكون خضوعًا لسلطة تعسّفيّة، تفهم الطّاعة هنا كتمييز جماعيّ وتشارك في الحكمة. هي متجذّرة في المحبّة والثّقة، حيث تتناغم الخيارات الفرديّة مع القيم الّتي يتمّ تمييزها جماعيًّا ومع حاجات العائلة والجماعة. الطّاعة هي بمثابة فضيلة اجتماعيّة تنشئ شبكات من الإرشاد والإصغاء المنفتح والمتبادل بين الأجيال.

٢. النّتائج

توصف الطّاعة في نتائج البحث بأنّها طاعة قائمة على الشّركة والتّحرّر، لا على الخضوع الهرميّ. وقد رفض المشاركون بوضوح فكرة الخضوع الأعمى والتّصلّب العنيف (الصّراخ أو الإكراه). بدلًا من ذلك، تفهم الطّاعة كفعل محبّة وحرّيّة يمارس من أجل يسوع. إنّها مسار مشترك من الإصغاء لإرادة الله من خلال الآخر.

٣. اقتراحات عمليّة

على المستوى الشّخصيّ

- ممارسة الإصغاء التّمييزيّ: التّنبّه إلى الله (في الكتاب المقدّس)، إلى التّصحيح، وإلى الضّمير، بحيث تصبح القرارات أكثر انسجامًا مع الحقّ وليس مع الإرادة الذّاتيّة.
- ممارسة الطّاعة كإصغاء محبّ، لا كخضوع. الفرق الوحيد بين الطّاعة والخضوع هو المحبّة. فالطّاعة تنبع من العلاقة لا من الخوف. تنمية الحرّيّة الدّاخليّة لاختيار ما هو حقٌّ لأنّه محبوب.

على مستوى العائلة

- بناء عائلةٍ قائمةٍ على الإصغاء: ممارسة السّلطة بمحبّة ووضوح، إنشاء مساحات مشتركة لاتّخاذ القرار، إظهار الطّاعة لله في الحياة اليوميّة، ومراجعة العادات دوريًّا لتمييز ما يخدم العائلة فعلًا.
- ممارسة طاعة الأهل لله، وأيضًا للأبناء لا عبر السّيطرة بل عبر الشّهادة. وإدراك أنّ الطّفل يصبح راشدًا من خلال مثال والديه الّذين يعلّمون الطّاعة بصبرهم، وبذل حياتهم، وخدمتهم المستمرّة بلا تذمّر. وفهم الطّاعة العائليّة كطاعة متبادلة ومحبّة.

على مستوى الرّعيّة / الأبرشيّة

- ممارسة التّمييز السّينودسيّ: اعتماد الإصغاء التّشاركيّ، والسّلطة الثّقافة، والإجراءات الواضحة، والمساءلة، والتّنشئة، بحيث تنبثق القرارات من الإصغاء الجماعيّ لا من القرار الأحاديّ.
- تعليم أنّ الطّاعة ليست مسألة هرميّة بل محبّة متجسّدة. وتشجيع الطّاعة المتبادلة بين القادة والجماعة، لأنّ الجميع طائعون للمسيح.

على المستوى المؤسّساتيّ

- إدارة العمل من خلال التّمييز: تأجيل القرارات تحت الضّغط، مقاومة ردود الفعل السّريعة على الضّغوط الخارجيّة، والتّواصل بما يتناسب مع الحاجة الفعليّة.

ماذا تضيف أو تعدّل انطلاقًا من خبرتك الشّخصيّة؟

٤. أسئلةٌ وتمارين

على المستوى الشّخصيّ

- ما هي الأصوات الّتي أصغي إليها فعلًا عند اتّخاذ القرارات؟
- أين أقاوم التّصحيح أو الإرشاد؟
- كيف أميّز بين إرادتي الشّخصيّة وما هو حقٌّ أو ضروريّ؟
- عندما تصبح الطّاعة صعبة، ما الّذي أخاف من فقدانه؟

على مستوى العائلة

- كيف تتّخذ القرارات داخل العائلة؟
- هل يختبر الأطفال السّلطة كأمر تعسّفيّ أم كأمر ذي معنًى؟
- أين يوجد الإصغاء وأين يغيب؟
- ما هي العادات الّتي نستمرّ بها دون التّساؤل عن جدواها؟

على مستوى الرّعيّة / الأبرشيّة

- كيف تتشكّل القرارات: عبر التّشاور أم الفرض؟
- هل يتمّ الإصغاء إلى النّاس فعليًّا أم الاكتفاء بإبلاغهم؟
- ما هي البنى الّتي تسمح بالمشاركة الحقيقيّة أو تمنعها؟
- أين تخدم السّلطة الجماعة وأين تتحوّل إلى سيطرة؟

على المستوى المؤسّساتيّ

- ما هي الضّغوط الّتي تؤثّر أكثر على عمليّة اتّخاذ القرار؟
- هل تبنى القرارات على البيانات أم على التّفسير أم على الاستعجال؟
- كيف يتمّ التّعامل مع الاعتراض أو التّعليق؟
- عمليًّا، كيف يبدو التّمييز أكثر أمانة وصدقًا؟

٥. الارتباط بقدّيسينا الموارنة

قلّةٌ هم الّذين يعرفون كيف بلغ الأخ اسطفان نعمة مرتبة القداسة. فقد كان هذا الرّاهب رجل صلاة وفقر وعفّة وطاعة تجلّت في تواضعه العميق وروح الخدمة لديه والنّشاط في العمل لا سيّما في الحقل والنّجارة. لم يكن عيشه للطّاعة مقتصرًا على الخضوع لأوامر الرّؤساء، بل كان أوّلاً خضوعًا لوصايا الله المقدّسة، وثانيًا تتميمًا لوصايا الكنيسة، وثالثًا أمانة تامّة لحفظ القوانين الرّهبانيّة. بلغت طاعته أوجها في أواخر حياته، حين أتمّ مهمّة تحديد تخوم أراضي دير سيّدة ميفوق بذكاء وأمانة رغم تعبه الشّديد، ثمّ عاد إلى دير كفيفان مريضًا، وهناك أسلم الرّوح وهو في حالة من الرّضى والتّسليم المطلق لمشيئة الله."

٧. التّقشّف

١. التّعريف

التّقشّف هو تهذيبٌ مقصود للرّغبات والعادات، وأسلوب الحياة يهدف إلى إعطاء الأولويّة لله، والنّموّ في الحرّيّة الدّاخليّة، وتنمية القدرة على محبّة الآخرين. هو ليس رفضًا للعالم، بل إعادة تنظيم العلاقة معه.

في التّقليد المارونيّ، يعدّ التّقشّف سمةً روحيّة مميّزة تفهم كتحرّر روحيّ أكثر منه حرمانًا جسديًّا أو إنكارًا للوجود المادّيّ. إنّه مسارٌ إيجابيّ وطوعيّ يستخدم الحياة الجسديّة والمادّيّة لتوجيه النّموّ الرّوحيّ نحو الخالق. فالتّقشّف ليس غايةً بحدّ ذاته، بل وسيلة "انفتاحٍ مركزيٍّ"، إذ يقوّي جوهر الإنسان الدّاخليّ لتجنّب التّمركز حول الذّات، ويوجّه الطّاقات والإمكانات الشّخصيّة نحو خدمة الآخرين.

٢. النَّتائِجُ

تظهر البيانات ابتعادًا واضحًا عن فهمٍ جسديّ أو عقابيّ للتّقشّف. فبدلًا من ذلك، يتمّ تعريف التّقشّف بأنّه حرّيّةٌ داخليّة. وقد وصفه المشاركون بأنّه تهذيبٌ طوعيّ للرّغبات يشكّل ترياقًا لثقافة الاستهلاك. فالتّقشّف لا يعني كراهية العالم، بل التّحرّر من التّعلّق به، وتحديدًا من أجل خدمته. إنّ التّراث الرّوحيّ المارونيّ يربط هذا المفهوم بشكلٍ خاصّ بـ"الفقر الإنجيليّ" الّذي عاشه المسيح.

٣. اقتراحاتٌ عمليّة

على المستوى الشّخصيّ

- تنظيم الرّغبات من خلال ممارسات ملموسة: تبسيط نمط الحياة، ممارسة الصّوم والاعتدال، واعتماد أوقات يوميّة للصّمت والحدّ من ضغوط الإعلام والمكانة الاجتماعيّة، وتوجيه الفائض بفعّاليّة نحو المحتاجين، لإعادة توجيه الرّغبات نحو ما هو جوهريّ.
- فهم أنّ التّقشّف ينبع من الفرح والحرّيّة والمحبّة، لا من إنكار الذّات بصورة قاتمة. والإدراك أنّ النّذور الثّلاثة (الفقر، العفّة، الطّاعة) لا يمكن فصلها عن بعضها، وأنّ التّقشّف لا يمكن أن يوجد من دون حرّيّة.

على مستوى العائلة

- اعتماد ممارساتٍ مشتركة: وضع حدود (لا للإفراط)، ممارسة أصوام دوريّة (عن الشّاشات، والإنفاق، والطّعام)، التّخفيف من الضّجيج والتّشتّتات، وشرح هذه الممارسات كسبلٍ إلى الحرّيّة والحضور والتّضامن.

على مستوى الرّعيّة / الأبرشيّة

- الشّـهادة مـن خـلال الاعتـدال والتّركيـز: تنظيـم مسـارات تنشـئة بحسـب الأزمنـة الرّوحيّـة (الصّـوم الكبيـر/ زمـن المجـيء)، الحفـاظ علـى الاعتـدال فـي النّشـاطات، تجسـيد البسـاطة علـى المسـتوى القيـاديّ، والحـدّ مـن الإفـراط التّواصلـيّ والتّنظيمـيّ مـن أجـل خلـق مسـاحة مؤاتيـة للذّهـاب إلـى العمـق.

على المستوى المؤسّساتيّ

- الحـدّ مـن الإفـراط النّظامـيّ: تبسـيط الهيكليّـات، إزالـة الإجـراءات الاعتياديّـة والمسـهبة، الحـدّ مـن الاجتماعـات والتّواصـل غيـر الضّـروريّ، مقاومـة ذهنيّـة الاسـتعجال والمبالغـة فـي المقاييـس، واعتماد اسـتخدام منضبـط ومسـتدام للمـوارد.

ماذا تضيف أو تعدّل انطلاقًا من خبرتك الشّخصيّة؟

٤. أسئلةٌ وتمارين

على المستوى الشّخصيّ

- ما هي العادات الّتي تشكّل حياتي اليوميّة، وأيٌّ منها ضروريّ فعلًا؟
- أين أتجنّب الانضباط بحثًا عن الرّاحة؟
- كيف أستخدم الصّمت أو الصّوم أو وضع الحدود لإعادة تنظيم رغباتي؟
- ما هي الممارسات العمليّة الّتي تساعدني على أن أكون أكثر حرّيّةً وحضورًا للآخرين؟

على مستوى العائلة

- ما هي الإيقاعات الّتي تحدّد حياة عائلتنا (الاستهلاك، النّشاط، الرّاحة)؟
- أين نواجه صعوبةً في قول "لا" كعائلةٍ؟
- هل تخلق ممارساتنا حضورًا أم تشتّتًا؟
- كيف نشرح ونعيش التّضحية كأمرٍ إيجابيّ؟

على مستوى الرّعيّة / الأبرشيّة

- هل تعبّر النّشاطات عن عمقٍ حقيقيّ أم عن مجرّد انشغالٍ دائم؟
- أين يمكن للتّبسيط أن يخلق مساحةً أكبر للصّلاة واللّقاء؟
- هل تعكس النّشاطات الاعتدال أم الإفراط؟
- كيف يعاش التّقشّف بصورة ملموسة في القيادة والبنى؟

على المستوى المؤسّساتيّ

- ما هي الإجراءات الموجودة فقط بسبب تعقيدات الماضي؟
- أين تتغلّب العجلة على التّمييز؟
- ما مقدار التّواصل الضّروريّ مقابل التّواصل المسهب؟
- ماذا يمكن أن يغيّر التّبسيط على مستوى الفعاليّة والوضوح؟

٥. الارتباط بقدّيسينا الموارنة

يجسّد القدّيس شربل مخلوف الرّاهب والكاهن والحبيس أسمى نموذج للصّلاة والتّقشّف. هو الّذي تربّى على حبّ الله والصّلاة منذ صغره، فاختار التّرهّب ثمّ الكهنوت، إلى أن قاده عشقه للصّلاة وشغفه بالمسيح إلى طلب الاستحباس فباتت حياته بكلّ تفاصيلها حالة من الصّلاة لا تنقطع. كان يصلّي بصمته كما بعمله وطاعته وأصوامه. ذروة صلاته كانت الاحتفال بالقدّاس الإلهيّ، حيث كان يعيش حالة من الإغراق الكامل في التّأمّل والاتّحاد بذبيحة ابن الله المرفوعة بين يديه.

شربل "الإنسان السّكران بالله" ترك لنا نموذجًا روحيًّا رفيعًا في عيشه للتّقشّف الذي مارسه بشكل بطوليّ. اختار شربل ألّا يأكل ولا يشرب إلّا ما يجعله قادرًا على مواصلة جهاده الرّوحيّ فكان يكتفي بأكل بقايا الأعشاب والخبز النّاشف مرّة في النّهار. لبس المسح والحديد الشّائك، وتحمّل الحرّ الشّديد والبرد القارس في المحبسة. كذلك عمل جاهدًا في كروم الدّير دون تذوّق ثمارها، إذ لم يشرب الخمر إلّا وقد استحال دم المسيح ممتزجًا بخبز جسده.

ما عاشه شربل من تقشّفات لم يكن احتقارًا للخيرات الدّنيويّة، بل نظرًا روحيًّا ثاقبًا جعله يرى الفرق الشّاسع بين ما يقدّمه العالم للإنسان من خيراتٍ محقّة ولكن زائلة، وما تحويه الخيرات الرّوحيّة من خلاص أبديّ للنّفس ومساهمة في ارتقائها إلى الفردوس السّماويّ حيث يمكنها معاينة الله وجهًا لوجه.

٧ا. التّعلّق بالأرض

١. التّعريف

الارتباط بالأرض هو علاقة وجدانيّة حيث تعتبر الأرض "أمًّا محبّة" تجمع أبناءها في القرب والتّعاون. وهي سِمَة أساسيّة من الهويّة الثّقافيّة والاجتماعيّة المارونيّة، تشكّل مصدرًا للبساطة والقناعة والاستقرار والعطاء. تاريخيًّا، تبلورت هذه العلاقة من خلال العمل الزّراعيّ، الّذي اعتبر ممارسة تقشّفيّة و"مدرسة حياة" ساهمت في تشكيل صمود الجماعة.

الارتباط بالأرض ليس مجرّد ملكيّة أو حنين عاطفيّ. بل هو علاقة معيشة مع مكان يفهم كعطيّة ومسؤوليّة ورسالة. تستقبل الأرض، وتزرع، وتحفظ، وتنقل. وهي في آنٍ واحد مادّيّةٌ وروحيّة: مساحة تتشكّل فيها الهويّة، ويتجذّر التّاريخ، ويتمّ اللّقاء بالله.

٢. النّتائج

يظهر تحليل إجابات المشاركين أنّ "الارتباط بالأرض" يتجاوز الحنين الجيوسياسيّ أو مجرّد الملكيّة. فقدّم المشاركون الأرض باستمرار بوصفها أمانةً روحيّة وواقعًا لاهوتيًّا، لا مجرّد ملك خاصّ ومُطلق. ويبرز في البيانات ما يمكن تسميته "جغرافيا روحيّة مارونيّة": فالجبل هو مكان اللّقاء مع الله، والسّاحل يرمز إلى الانفتاح، أمّا الوديان والمغاور فتعكس الصّمود والتّاريخ.

تفهم الأرض كمكان تتقاطع فيه الهويّة مع الأصول والخلق الإلهيّ: حيث يختبر حضور الله في الطّبيعة كإعلانٍ إلهيّ.

٣. اقتراحاتٌ عمليّة

على المستوى الشّخصيّ

- عيش الانتماء الجغرافيّ كمسؤوليّة: معرفة التّاريخ، الانخراط في الطّبيعة، ممارسة الوكالة الصّالحة، تعلّم المهارات التّقليديّة، والحفاظ على الصّلة بالأرض الأمّ، باعتبارها عطيّة ومهمّة ومكان لقاء مع الله.
- فهم الارتباط بالأرض ليس كجذور غامضة، بل كذاكرة ولغة وليتورجيا وأناس ساهموا في تكويننا.

على مستوى العائلة

- نقل الهويّة من خلال الممارسة: رواية القصص، نقل اللّغة والتّقاليد، خلق تجارب مرتبطة بالمكان، وتعزيز علاقة حيّة بالأرض كمساحة انتماء وإيمان.

على مستوى الرّعيّة / الأبرشيّة

- إدماج الأرض في الحياة الجماعيّة: رحلات حجٍّ، تعليم مسيحيّ حول الخلق والخليقة، الحفاظ على الأعياد التّقليديّة، ومساحات تراثيّة مرئيّة تربط الإيمان بالتّاريخ والمكان.

على المستوى المؤسّساتيّ

- ترسيخ الهويّة وروح الوكالة بيئيًّا ومؤسّساتيًّا: إدماج الإيكولوجيا في المناهج، تعزيز التّراث، حماية الأرض، تعميق التّنشئة (أكثر من المنح الدّراسيّة) في اللّغة والتّاريخ والأرض، تدعيم الهويّة في الاغتراب، ومقاومة تفكّك أرض الأجداد.

ماذا تضيف أو تعدّل انطلاقًا من خبرتك الشّخصيّة؟

٤. أسئلة وتمارين

على المستوى الشّخصيّ

- ما هي علاقتي بمكان نشوئي أو انتمائي؟
- هل أرى الأرض كمورد أم كعطيّة ومسؤوليّة؟
- كيف أعيش علاقتي بالطّبيعة بشكلٍ معبّر؟
- ما هي الممارسات الّتي تربطني بالتّاريخ والذاكرة والهويّة؟

على مستوى العائلة

- ما هي التّقاليد أو القصص الّتي تنقل في منزلنا؟
- كيف نخلق تجارب مرتبطة بالمكان والذاكرة؟
- ما هو نوع العلاقة الّتي يمتلكها الأطفال مع الأرض والتّراث؟
- ما هي عناصر الهويّة الّتي تحفظ أو تفقد؟

على مستوى الرّعيّة / الأبرشيّة

- كيف يظهر الرّبط بين الإيمان والأرض بشكلٍ ملموسٍ؟
- ما هي الممارسات الجماعيّة الّتي تعزّز الهويّة والتّاريخ المشترك؟
- هل التّقاليد تعاش أم تكرّر فقط؟
- كيف تتفاعل الرّعيّة مع محيطها البيئيّ؟

على المستوى المؤسّساتيّ

- كيف يتمّ إدماج المسؤوليّة البيئيّة بشكلٍ عمليّ؟
- ما هو دور التّراث في الهويّة المؤسّساتيّة؟
- كيف ينشّأ الجيل الجديد على الارتباط بالأرض والتّاريخ؟
- ما هي المخاطر الّتي تهدّد استمراريّة الأرض والثّقافة والهويّة؟

٥. الارتباط بقدّيسينا الموارنة

عاش القدّيس مارون في الهواء الطّلق، ناسكًا في الطّبيعة، معبّرًا بذلك عن ارتباطه بالأرض كونها مساحة لقاءٍ مع الله. لم تعد الطّبيعة بالنسبة له مجرّد مكان للعيش، بل أصبحت فضاءً للتّأمّل والاتّحاد بالله. باتت الأرض مدرسة للصّلاة والنّسك، وتعبيرًا عن الثّبات الرّوحيّ والارتباط بالأرض كجذورٍ للإيمان؛ فمن يثبت في قمم الجبال ويعيش الصلابة يثبت ويتقوّى في الله. شكّل تلاميذ مارون نواة الكنيسة المارونيّة، حيث كانت الأرض بالنّسبة لهم هويّة ورسالة ومدرسة للصّلاة وعيش الزهد في النّسك وفي الاتكال المطلق على نعمة الله وتدبيره.

VII. الخاتمة

يهدف هذا المستند إلى إطلاق مسارٍ للتّفكير حول أسلوب عيش الحياة المسيحيّة ومرافقته، إذ هو متجذّر في خصوصيّة جسّدتها الكنيسة المارونيّة ونقلتها عبر الزّمن. ما تمّ عيشه تاريخيًّا ضمن الخبرة المارونيّة تعاد قراءته هنا، والتّعبير عنه، وتأوينه ضمن السّياقات المعاصرة. لا يهدف هذا العمل إلى حصر العناصر المذكورة ضمن جماعة خاصّة، بل إلى إظهار معناها العميق وأهمّيّتها اليوم.

وإن هي متجذّرة في التّقليد الماروني، فإنّ المكوّنات التي يعالجها هذا العمل ليست حكرًا عليه. فهي تعبّر عن فضائل إنسانيّة ومسيحيّة أساسيّة يمكن أن تسهم في بناء نوعيّة حياة ذات معنًى وكرامة. وبهذا المعنى، يتجاوز هذا العمل سياقه الكنسيّ المباشر: إنّه دعوة موجّهة إلى كنائس أخرى وإلى تقاليد دينيّة مختلفة للانخراط في التّفكير حول هذه القيَم، والتّعرّف إلى كيفيّة عيشها في سياقاتها الخاصّة، واستكشاف كيف يمكن أن تُسهِم في أنسنة المجتمعات وترقيتها إلى حياة أكثر أصالة.

انسجامًا مع الرّوح السّينودسيّة الّتي يندرج في إطارها هذا العمل، تبقى هذه الوثيقة مفتوحة. يمكن التّفاعل بشكل جزئيّ أو شامل مع الأسئلة المطروحة ضمن كلّ قسم عبر Google Forms، المتاح من خلال رمز QR أدناه. تهدف هٰذه المساحة إلى توسيع مسار الإصغاء والحوار والتّمييز المشترك.

القرّاء مدعوّون إلى المساهمة بتأمّلاتهم وخبراتهم، والبقاء على تواصل عبر البريد الإلكترونيّ المخصّص لذلك.

هذا العمل هو ثمرة جهدٍ مشترك وتعاون مستمرّ. نحن ممتنّون لكلّ من رافق مسار هذا البحث وأسهم في إعداد هذه الوثيقة.

للتّواصل:wpo.bkerki@gmail.com

اضغط هنا للدخول إلى Google Forms

VIII. الملحق

تـمّ إعـداد وثيقـة العمـل هـذه مـن قبـل مكتـب راعويّـة المـرأة وبمسـاهمة عـددٍ مـن المعاونـات والمعاونيـن، حيـث شـارك كلٌّ منهـم فـي جوانـب محـدّدةٍ مـن مسـار البحـث:

الأسـتاذة ميرنـا عبّـود مـزّوق وكلارا مكـرزل، اللّتـان أشـرفتا علـى تطويـر المشـروع. وقـد شـمل عملهمـا تصميـم الإطـار البحثـيّ، وإعـداد الاسـتبيانات، وإدارة مجموعـات النّقـاش وصياغـة خلاصاتهـا، بالإضافـة إلـى تحديـد المفاهيـم الأساسـيّة الّتـي تناولتهـا الوثيقـة.

IDEES مجموعـة البحـوث المتعـدّدة التّخصّصـات فـي جامعـة الـرّوح القـدس – الكسـليك، الّتـي واكبـت مسـار هـذا البحـث ومراحـل إعـداد هـذه الوثيقـة لضمـان التّماسـك الأكاديمـيّ والمنهجـيّ، وسـاهمت فـي بلـورة المحتـوى.

السّيّدات فاديـا حايـك، جوزيفيـن محاسـب، هنـد مخلـوف، والأخـت سـيلين نهـرا، والسّـيّد بيـار بـرّاك، والأب يوحنّـا جحـا، الذيـن سـاهموا فـي محتـوى شـهادات القدّيسـين الموارنـة وفـي التّدقيـق اللّغـويّ لهـذه الوثيقـة.